مقتطف

تنشر «العربي الجديد»، على حلقات اسبوعية، ترجمة الشاعر والروائي والناقد الفلسطيني محمد الاسعد لكتاب «مدن غير مرئية» لإيتالو كالفينو. يعدّ العمل من آخر ما ترجمه الاسعد، قبل رحيله المفاجئ في ايلول/ سبتمبر الماضي

إيتالو كالفينو

مدنٌ متاجرة (2)

في كلويي، وهي مدينة عظيمة، الناس الذين يتحرّكون عبر الشوارع كلّهم غرباء. في كلّ مواجهة، يتخيّل كلّ واحدٍ منهم عن الآخر ألف شيء؛ لقاءات من تلك التي قد تحدث بينهم، محادثات، مفاجآت، عناقات، لسعات. ولكنّ لا أحدَ يحيّي أحداً؛ تلتقي العين بالعين لثانية، ثم تندفع بعيداً، باحثةً عن عيون أخرى، من غير توقّف أبداً.

تجيء فتاةٌ تيرم مظلّةً خفيفة على كتفها، وتيرم بلا مبالاة ردفيها المستديرين أيضاً. تجيء امرأةٌ ترتدي ملابس سوداء، مُظهرةً بلوغها سنّ الرشد، عيناها قلقتان تحت نقابها، شفتاها ترتعشان. يجيء عملاقٌ موشوم؛ شابٌ ذو شعر أبيض؛ أنثى قزم؛ فتاتان توأم ترتديان ثوباً بلون المرجان. شيءٌ ما يجري بينهم، تبادُل نظرات مختلسة تشبه خطوطاً من التي تربط هيئة بأخرى، ترسم سهاماً، نجوماً، مثلّثات، إلى أن تستنفد كلّ التركيبات في لحظة، وتدخل المشهد شخصياتٌ أخرى: رجل أعمى مع فهد بسلسلة، مومس مع مروحة من ريش النعام، شابٌ إغريقي يتأهّل للمواطنة الكاملة، امرأةٌ بدينة.

وهكذا، حين يحدث أن يجد بعض الناس أنفسهم معاً، مُحتمَين من المطر تحت رواق، أو متجمّعين تحت سقيفة السوق، أو متدوقفين للإصغاء الى فرقة موسيقية في الساحة، تتحقّق بينهم لقاءاتٌ، إغواءات، مضاجعات، طقوس عربدة. من دون تبادل كلمة، من دون أن يلمس أصبعٌ أي شيء، من دون أن ترتفع عينٌ تقريباً.

ثمة موجة شهوانية تهزّ كلويي، المدينة الأكثر عِفّة بين المدن، هزّةٌ متواصلة. لو أن الرجال والنساء بدأوا يعيشون أحلامهم العابرة، فسيغدو كلّ طيفٍ شخصاً تبدأ معه قصّة مطاردات، ادّعاءات، إساءات فهم، صدامات، مظالم، ولتوقّف عرضُ الأخيولات الجامحة.

■■■

مدن وعيون (1)

بنى القدماءُ فالدرادا على ضفاف بحيرة، ذات بيوتٍ جميع شرفاتها تقع واحدة فوق الأخرى، وشوارع مرتفعة تُشرف حواجزها المسيّجة على المياه. لهذا يشاهد المسافر لدى وصوله مدينتَين: واحدة منتصبة فوق البحيرة، والأخرى منعكسة فيها رأساً على عقب. لا شيء يظهر إلى حيّز الوجود أو يحدث في فالدرادا الأولى من دون أن تكرّره فالدرادا الثانية، لأنّ المدينة أُنشئت هكذا، بحيث تنعكس كلّ نقطة بها في مرآتها. ولا تحتوي فالدرادا التحتيّة، في الماء، على كل الزخارف المحفّرَة ونتوءات الواجهات التي ترتفع فوق البحيرة فحسب، بل وعلى دواخل الغرف، بالسقوف والأرضيات، ومنظور القاعات، ومرايا خزائن الثياب.

سُكّان فالدرادا يعرفون أنّ كلّ فعل من أفعالهم هو في ذات الوقت ذلك الفعل وصورته المراوية التي تمتلك المنزلة الخاصّة التي للصور. وبمنعهم هذا الوعي من الاستسلام لحظةً واحدة للمصادفة والنسيان، حتى حين يثني العشّاق أجسادهم العارية، الجلد لصقَ الجلد، ملتمسين الوضعية التي ستمنح أحدهم أقصى متعةٍ بالآخر، حتى حين يُعقد القتلة السكّين في عروق الرقبة السوداء، ويتدفّق المزيد من الدم المتخثّر، كلّما زادوا الضغط على النصل المنزلق بين الأوتار الرابطة بين العظام والعضلات، فإن مضاجعاتهم وجرائمهم في الصور، تحظى بالأهمية القصوى، بقدر ما تحظى بها مضاجعاتهم وجرائمهم في الصور، الشفّافة والباردة في المرآة.

أحياناً تزيد المرآة قيمة شيءٍ من الأشياء، وأحياناً تحرمه من قيمته. ليس كلّ شيء من الأشياء التي تبدو ثمينة في الأعلى تحافظ المرآة على قوّته حين يتمرأى.

المدينتان التوأم غير متساويتين، لأن لا شيء مما يظهر إلى حيز الوجود أو يحدث في فالدرادا متناسقٌ: كلّ وجه وإيماءة يُجاب عليهما في المرآة بوجهٍ وإيماءة مقلوبين، نقطة بنقطة. كلّ واحدة من الفالدراداتين تعيش من أجل الأخرى، عين إحداهما في عين الأخرى؛ ولكنّ لا يوجد بينهما حُبّ.

■■■

حلمُ الخان الأكبر بمدينة؛ وها هو يصفها لماركو بولو:

«الميناءُ في الظلّ يواجه الشمال. المراسي عالية فوق الماء الأسود، الذي يرتطم بالجدران الحاجزة؛ تنحدر درجاتٌ حجرية جعلتها الطحالب زلقة. زوارقُ مطليّة بالقار مربوطة، تنتظر الركّاب المغادرين المصفوفين في طابور لتوديع أهاليهم. تجري مراسم الوداع في صمت، ولكنّ ترافقها الدموع. الجوّ بارد؛ الجميع يغطون رؤوسهم بشالات. صيحة من النوتي تضع حدّاً للتأخير. يربض المسافرُ عند القيدوم، يتحرّك ناظراً باتّجاه الجماعة التي تخلّفت على الشاطئ؛ لم يعد ممكناً تبيُّن ملامحه من على الساحل؛ يتوقّف الزوّرق بجوار سفينة راسية. على السلم يصعد شكلٌ ضئيل، يتلاشى؛ يسمع صوت السلسلة الصدئة وهي تُرفع، محتكّة ببيت القلس. الناس الذين ظلّوا على الشاطئ يطلون من فوق الحواجز الواقية فوق صخور الرصيف الممتدّ في البحر، عيونهم تُتابع السفينة الى أن تدور حول الرأس البحري؛ وللمرة الأخيرة يلوّحون بخرَق بيضاء». يقول الخان لماركو: «انطلق، استكشف كلّ ساحل، وابحث عن هذه المدينة، ثم عُدْ وأخبرني إن كان حلمي يتطابق مع الواقع». فيقول ماركو: «سامحني يا سيدي، لا شكّ أنني سابحر من ذلك المرسى عاجلاً أم آجلاً، ولكنّني لن أعود لأخبرك عنه. المدينة موجودةٌ ولديها سرٌّ بسيط: إنّها لا تعرف إلّا الارتحالات، لا العودات».

■■■

كلّ الناس الذين يعبرون في شوارع مدينة كلويي غرباء

تنحدر في الماء درجاتٌ حجرية جعلتها الطحالب زلِقة

ملامحُ ماركو بولو

يتطلّع الخان الى الخارج ليلقي نظرة شاملة على اتّساع حدائق القصر المضاءة بمصابيح مدلّاة من أشجار الارز. وعندها يقول لماركو بولو: «اعرفْ أن امبراطوريّتي صنوعةٌ من... واهٍ هوامها البلّور، تنتظم جُزُرُها في شكل مكعّب، وتتّخذ وسطها تضوّع العناصر ماشةُ رائحة وصلبة شكلاً، شكل جبلها الذي شفّاف متعدّد الوجوه. لكنك ما إن تتوقّف انطباعاتُ رحلاتك عند المظاهر المحبطة... ما إن تُخفي عن الإمبراطور عظمة قدره؟».

«بعد زمن طويل» لبير كيركيلي (الدنمارك)، زيت على قماش، 1992

متابعة

مساحة يملأها متطوّعون في غياب الفاعلين الثقافيين

تذكيرٌ بالكتاب العربي في فرنسا

«معرض كتاب العالم العربي»، المقام اليوم وغداً في نانسي شرق فرنسا، يأتي بتنظيم من جمعيات مدنية تريد إعطاء صورة عن الكتابة والفكر العربيين

نانسي (فرنسا) ـ **العربي الجديد**

لا تكاد الثقافة العربية تغيب أسبوعاً عن الروزنامة الفنية والفكرية في فرنسا. إذ لا ينتهي مهرجانٌ، أو معرضٌ، أو حدثٌ مخصّص لمشهد من المشاهد الثقافية العربية، أو لشخصية من شخصياتها، حتى يتبعه حدثٌ آخر. هذه الأيام، على سبيل المثال، تشهدُ ثلاث فعالياتٍ كبرى: النسخة العاشرة من «مهرجان الفيلم الفرنسي العربي» (حتى 23 من تشرين الثاني/ نوفمبر) في نوازي لو سيك، قرب باريس؛ معرض «الكتابة هي الرسم» (حتى 12 شباط/ فبراير من العام المقبل) للفنانة اللبنانية السورية الراحلة قبل أيام إيتيل عدنان، في فرع «مركز بومبيدو» بمدينة ميتز (شرق)؛ ومعرض «أنوار لبنان» في «معهد العالم العربي» (حتى 2 كانون الثاني/ يناير من العام المقبل)، الذي يعطي نظرة شاملة على الفنون الجميلة في البلد منذ عام 1950.

وفي حين تشهد الأيام المقبلة عودة مهرجان «رابوفولي» (باريس، بين 3 و12 كانون الأول/ ديسمبر المقبل)، الذي يجمع برنامجه بين الفكر والموسيقى والفنون البصرية، فإن الصحافة الثقافية الفرنسية قد انشغلت هذا العام بعدد لا بأس به من الأنشطة الكبرى المرتبطة بالعالم العربي، ولاسيما معرض «أيقونات: من أم كلثوم إلى داليدا»، الذي أحيا ذكرى العديد من نجمات الغناء العربي، والمعرض الاستعادي لأعمال الفنان المغربي فريد بلكاهية، الذي نظّمه، هذا الصيف، «مركز بومبيدو» في العاصمة الفرنسية.

على أنّ هذا الحضور العربي الكثيف، نسبياً، يسجّل غائباً شبه دائم: الكتاب. لا معرض كتاب عربيّ في هذا البلد الذي يضمّ، على الأغلب، أكبر جالية ناطقة بالعربية في أوروبا. أمّا الحيّ الخامس في باريس، الذي كان، حتى السنوات القليلة الماضية، فضاءً لما يمكن تسميته بـ«بالمكتبة العربية»، فقد بات البلد الذي فارغ من مكتبات المبيع تلك. نقصٌ كبيرٌ تأتي بعض المبادرات المدنيّة لتسدّ جزءاً منه، على الهوامش غالباً، كما هو حال «معرض كتاب العالم العربي» الذي يُعقد اليوم وغداً في مدينة نانسي (شرق)، بتنظيم من «جمعية التعاون الفرنسي السوري»، و«جمعية العمّال المغاربة في فرنسا»، و«بيت الشباب والثقافة. ليلبونْ».

يساعد الكتاب على تكوين مساحة شخصية للإنسان في منفاه

لا يُخفي شريف حيدر، من «جمعية التعاون الفرنسي السوري»، أنهم، كمنظّمين، «دخيلون» على عالم الكتاب، وأنّ ما يدفع باحثاً مثله في الذكاء الصنعي، والعديد من المتطوّعين والهواة القائمين على الفعالية، إلى تنظيمها، هو إهمال الفاعلين العرب في فرنسا لهذا الحقل الثقافي. يقول حيدر، في حديثٍ إلى «العربي الجديد»: «نهدف من خلال المعرض إلى إعطاء صورة عن الفكر والكتابة العربيين، اللذين قلّما يُستحضران في فرنسا. يوفّر الكتاب مساحةً حيوية ربّما تكون الأفضل كمكان للقاء بين الثقافات، بل حتى بين أبناء الثقافة الواحدة. كما أنني نسعى، بقدر استطاعتنا بالطبع، إلى توفير عناوين عربية بما يمكّن المقيمين العرب في مدينة نانسي من قراءتها بلغتهم». كما يشير حيدر إلى دورٍ «علاجي» للكتاب العربي، خصوصاً لدى شريحة اللاجئين والمهاجرين التي تحضر بالمئات، وربّما بالآلاف، في نانسي وحدها. «الكتاب من آخر ما يحمله اللاجئون معهم عند خروجهم من بلادهم. لطالما سمعت لاجئين يتحدّثون بحنين عن مكتباتهم التي تركوها وراءهم، في سورية أو غيرها من البلدان العربية. يمكن لعدد من العناوين أن تساعد لاجئاً على ترميم مكتبته، ومنها على استعادة شيء من حضوره السابق في مكان إقامته الجديد، على تكوين مساحةٍ شخصية له في منفاه»، يقول حيدر.

بعد دورة أولى أقيمت عام 2019 وتمحورت حول ثيمة الشعر العربي، يخصّص المعرض، الذي تحضنه صالتا «بيت الشباب والثقافة. ليلبونْ»، دورته الحالية لأدب الطفل. دورةٌ يسعى المنظّمون إلى أن يتجاوزوا فيها عثرات الدورة الأولى، وإن كانوا مقتنعين. كما يقول حيدر. أن الطريق ما يزال طويلاً أمامهم للوصول إلى معرض احترافي وبارز إقليمياً. ولهذا السبب، فقد شاء المنظّمون دعوة عدد من الكتّاب والمثقّفين العرب والفرنسيين المهتمّين بالثقافة العربية، ليشكّلوا ما يشبه اللجنة التي من شأنها التفكير بكيفية تطوير الفعالية في نُسَخِها القائمة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

الرواية العراقية إعلام كجه جي، من لجنة المعرض (خير الدين صبرول)

وقفة مع

عبد القادر فيدوح

تقف هذه الزاوية مع شخصية ثقافية عربية في أسئلة سريعة حول انشغالاتها الإبداعية وجديد إنتاجها وبعض ما تودّ مشاطرته مع قرّائها

الجزائر ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

يشغلني هذه الأيام موضوع الهُوية والذاكرة، وعلاقة الرواية بالتاريخ؛ من منظور أن هناك ارتباطاً فطريًا بين التاريخ والفنّ الروائي، إذ إنّ كليهما يتضمّن سرد الأحداث بشكل قصصيّ. ولوجود هذه العلاقة بين الفن والتاريخ، أتّجه إلى قراءة هذا المصدر الثريّ، وهضْم صوَره، وصياغة موضوعاته صياغةً حيّةً نابضة؛ لتغدو وسيلةً للتعبير من خلالها عن استدعاء الذاكرة بما يخدم المستقبل.

■ ما هو آخر عمل صدر لك، وما هو عملك القادم؟

آخر عمل صدر لي منذ أسابيع، بالاشتراك مع مجموعة من الكتّاب، هو كتاب «حارس الحكايات»، لتكريم الأديب فيصل دراج. أما آخر ما صدر لي شخصياً، منذ شهر، فهو كتاب «التسامي في الشعر العربي». وهناك أربعة كتب تنتظر النشر الذي كان قد تعطّل بسبب جائحة كورونا.

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك، ولماذا؟

بكلّ تأكيد. بعد رحلة طويلة مع المنهج التأويلي، استطعت أن أسهم في تأصيل طرائق تحليل النصوص، إذ إن معظم دراساتي - التي تربو على الخمسين كتاباً - تُعنى بالدراسات التطبيقية للمنجز الأدبي والفكري.

■ لو قيض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

حتماً سأختار ما تمّ اختياره في البدء، وهو المنهج التأويلي الذي بدأت به أوّل كتاب لي عام 1981، وكان عن الشعر القديم.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

«امتثالا لمقولة: «كن أنت التغيير الذي تريد أن تراه في العالم»، فأنا من أنصار التغيير الذي يستند إلى تغيير الوعي الفكريّ. صحيح أن الجميع يفكّر في تغيير العالم، ولكن قلّةٌ فقط يفكّرون في تغيير أنفسهم. أوّل خطوة للنجاح هي تغيير الذات من داخلها؛ لكي تصنع نفسها بما تستحقّ، نحو الأسمى.

أضيف إلى ذلك أنّ في إمكان المرء أن يبدأ من أيّ موقف؛ لأنه وحده من يستطيع أن يرفع من همّته؛ لذلك يكون التغيير واجباً. فإذا نجح المرء في تغيير ذاته، عندها يمكن أن يشعر بقيمة النهضة، وبالاستكمال، وبالإنماء، وبكلّ ما يُراد له من الازدهار والنجاح تباعًا. والحال هذه أن قناعتي: أن لا تغيير من غير مرونة، أو من دون تفكير.

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

هما شخصيتان: الباحث عبد الملك مرتاض، والباحث عبد الله بن حلّي؛ هما معًا جسّدا معنى حُبّ العلم، لما لهما من رصانة، ورجاحة عقل. لهما منّي خالص التقدير، مع موفور الصحّة والعافية.

يشغلني ذلك الارتباط الفطريّ بين التاريخ والفن الروائي

عبد القادر فيدوح

بطاقة

أكاديمي من مواليد مدينة معسكر في الجزائر، عام 1948. عمل لسنوات طويلة في «جامعة وهران»، و«جامعة الفاتح» بليبيا، و«جامعة البحرين»، ثمّ في «جامعة قطر». يهتمّ في دراساته بالنظرية النقدية المعاصرة، وبنظرية السرد والدراسات السيميائية. له ما يزيد على خمسين كتاباً، كان آخرها «التسامي في الشعر العربي». له عددٌ من الأعمال قيد النشر، ومن بينها «الخطاب الواصف ومؤولاته في الشعر المعاصر»، الذي سيصدر قريباً.

فعاليات

على خشبة «قاعة الفن الرابع» في تونس العاصمة، تُعرض اليوم بداية من السابعة مساء مونودراما **يافوتة** من إخراج وأداء **ليلى طوباك**. العمل قريب من توجّهات الكاتبة المسرحية التونسية في عمليها الاخيرين: «حورية» (2015) و«سلوان» (2017) حيث تعتمد على تقنية السرد من خلال تحوّلات الجسد.

حتى يوم غد الاحد، تنظّم «مؤسسة اليابان» تظاهرة افتراضية تعرض فيها الافلام المرشّحة للمشاركة في **مهرجان الافلام اليابانية** الذي سيقام هو الآخر افتراضيا في الفترة ما بين 14 و27 شباط/ فبراير 2022. من الافلام المتاحة للعرض: **العبور الكبير** (روائي درامي، 2013)، و**توراسان في غوتو** (وثائقي، 2016/ الصورة)، و**غوت: الثعلب الصغير** (رسوم متحرّكة، 2019).

في «مكتبة مصر الجديدة» في القاهرة، تقام اليوم امسية جديدة من امسيات **الرواق الفلسفي** بدءاً من الخامسة مساء، ويقدّمها الكاتب المصري **عماد العادلي** الذي يقارب تاريخ الفلسفة من خلال مجموعة من الإشكاليات التي يَبسطها من خلال نماذج من الحياة اليومية يمكن ان يستوعبها المتابع غير المتخصص.

ضمن فعاليات «معرض تونس الدولي للكتاب» التي تختتم يوم غد الاحد، يجري اليوم تقديم الإصدارين الاخيرين للكاتب التونسي **الصافي سعيد**: **جيوبولتيك الامم: الانتقال من الامبريالي إلى الميتا-امبريالي** الذي صدر في كانون الاول / يناير من العام الجاري، و**قبّعة الكومندانتي** وهي رواية صدرت في ايلول/ سبتمبر الماضي.